تنبيه العقلاء

إلى حرمة

دماء المسلمين

ولحوم العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فقد وُجِدَ من يجهل منزلة العلماء الذين اصطفاهم الله، وفَضَّلَهم على سائر الخلق بعد الأنبياء والرسل، كما وُجِد من يجحد فضائلهم، وما منحهم الله من مكانة عالية، ومنزلة رفيعة؛ ليتوصل بذلك إلى أغراض فاسدة ومخالفات عديدة، وهيهات أن يصل من سلك هذا المسلك إلى الحط من قدرهم أو إسقاط مكانتهم؛ لأن من رفعه الله فلن يستطيع أحد أن يخفضه، وقبل أن أورد ما أردت إيراده من إيضاح ما يقال في حقهم طعنًا وقدحاً، أتحف القراء الكرام بنبذة مباركة من فضائل علماء الإسلام الذين نطق بهم القرآن ونطقوا به وعُرفت بهم السنة، وعُرفوا بها، واستشهد الله بهم وشهد لهم، ومنها:

الفضيلة الأولى: تزكية الله لهم قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: ١٨]: قال العلامة ابن القيم في "مدارج السالكين" (٤١٨/٣، ٤٣٩): «فتضمنت هذه الآية: أجل شهادة، وأعظمها، وأعدلها، وأصدقها، من أجل شاهد، بأجل مشهود به ... وفي ضمن هذه الشهادة الإلهية الثناء على أهل العلم الشاهدين بها وتعديلهم. فإنه سبحانه قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، واستشهد بهم - جل وعلا - على أجل مشهود به، وجعلهم حجة على من أنكر هذه الشهادة، كما يحتج بالبينة على من أنكر الحق، فالحجة قامت بالرسل على الخلق، وهؤلاء نواب الرسل وخلفاؤهم في إقامة حجج الله على العباد». وقال – رحمه الله تعالى-في "مفتاح دار السعادة" (٤٩/١) في فضل الله على العلماء في هذه الآية: «وهذا فضل عظيم لا يدري قدره إلا الله».

الثانية: أن منزلة العلماء الراسخين في علم الشريعة بعد منزلة الأنبياء والرسل قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

قال سفيان بن عيينة: «أعظم الناس منزلة من كان بين الله وبين خلقه: الأنبياء والعلماء». رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٤٩/١رقم/١٣٥). وهو حسن

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في "طريق الهجرتين" (ص/٣٢٨): «فجعل درجة الصديقية معطوفة على درجة النبوة وهؤلاء هم الربانيون، وهم الراسخون فى العلم، وهم الوسائط بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأُمته، فهم خلفاؤه وأولياؤه وحزبه وخاصته وحملة دينه وهم المضمون لهم أنهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأْتي أمر الله وهم على ذلك».

الثالثة: جعلهم الله وكلاء على دينه، وأمناء على وحيه، وحراسًا لشريعته؛ قال تعالى: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، قال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (١٦١/١) عند ذكره لهذه الآية: «ولا ريب أن هذا للأنبياء أصلاً، وللمؤمنين بهم تبعًا، وأحق من دخل فيهم أتباع الرسول ﷺ خلفاؤه في أمته وورثته فهم الموكّلون بها».

الرابعة: هم المباركون أينما كانوا؛ قال تعالى مخبرًا عما قاله عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١] قال غير واحد من المفسرين: «معلمًا للخير» وقال الحافظ ابن جرير في تفسيره (٥٣٠/١٥-٥٣١): «وقد اجتمع الفقهاء على قول الله ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ قيل وما بركته؟ قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان».اهـ وقال الرسول ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير». رواه الترمذي (رقم/٢٦٨٥) عن أبي أمامة وهو صحيح.

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله تعالى- في «مفتاح دار السعادة» (٦٣/١) عند ذكره لهذا الحديث: «لما كان تعليمه للناس الخير سبباً لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم جازاه الله من جنس عمله بأن جعل عليه من صلاته وصلاة ملائكته وأهل الأرض ما يكون سبباً لنجاته وسعادته وفلاحه».

الخامسة: بهم صلاح العالم وبذهابهم فساد نظامه قال الرسول ﷺ : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها». أخرجه أبو داود (رقم/ ٤٢٩١) والحاكم (٥٢٢/٤) و غيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه. والحديث صحيح.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «صلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير» رواه قاسم بن أصبغ في مصنفه وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٣٠١/١-٣٠٢).

و«قال عبد الله بن الإمام أحمد قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ قال: يا بني كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف، أو منهما عوض؟». أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤٠٦/٢).

وقال العلامة ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (٣٦٥/١): «لما كان صلاح الوجود بالعلماء ولولاهم كان الناس كالبهائم بل أسوأ حالًا كان موت العالم مصيبة لا يجبرها إلا خلف غيره له وأيضاً فإن العلماء هم الذين يسوسون العباد والبلاد والممالك فموتهم فساد لنظام العالَم؛ ولهذا لا يزال الله يغرس في هذا الدين منهم خالفا عن سالف يحفظ بهم دينه وكتابه وعباده».

وقال أيضًا في المصدر السابق (١٦٥/١): «وأما العلماء بالله وأمره فهم حياة الوجود وروحه، ولا يُستغنى عنهم طرفة عين، فحاجة القلب إلى العلم ليست كالحاجة إلى التنفس في الهواء، بل أعظم».

السادسة: بهم نجاة الأمة الإسلامية عند الفتن المدلهمة، فلقد أنعم الله على الراسخين في علم الشريعة بمعرفة الفتن قبل حلولها، وسوء عواقبها قبل نزولها، ومكائد أعدائها للنيل منها، قال تعالى مخبرًا عما قاله أهل العلم لمن فتنوا بملك قارون: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

وقال الحسن البصري: «إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل» رواه ابن سعد في الطبقات (١٦٦/٧) وأبو نعيم (٢٤/٩). وهو صحيح.

أضف إلى معرفتهم بالفتن أنهم أعرف بمقاصد الشريعة وهذا علم دقيق عظيم النفع وكذلك هم أعرف بالمصالح والمفاسد التي عليها مدار الشريعة الغراء قال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى- كما في مجموع الفتاوى (٥٨٣/٢٠) «لكن العلم بصحيح القياس وفاسده من أجل العلوم وإنما يعرف ذلك من كان خبيرا بأسرار الشرع ومقاصده؛ وما اشتملت عليه شريعة الإسلام من المحاسن التي تفوق التعداد؛ وما تضمنته من مصالح العباد في المعاش والمعاد؛ وما فيها من الحكمة البالغة والرحمة السابغة؛ والعدل التام. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب».

وقال العلامة ابن القيم في «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٣/٣). «هذا فصل عظيم النفع جدًا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به؛ فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها».

وقال العلامة الشوكاني في "أدب الطلب" (ص/١٦٣). «فالعالم المرتاض بما جاءنا عن الشارع الذي بعثه الله تعالى متمما لمكارم الأخلاق إذا أخذ نفسه في تعليم العباد وإرشادهم إلى الحق وجذبهم عن الباطل ... وجعل غاية همه وأقصى رغبته جلب المصالح الدينية للعباد ودفع المفاسد عنهم كان من أنفع دعاة المسلمين وأنجع الحاملين لحجج رب العالمين وانجذبت له القلوب ومالت إليه الأنفس».

السابعة: أمَرَ الله عموم أمة الإسلام بالرجوع إليهم في كل ما يُشكل عليهم ويخفى عنهم قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (٥١/١٨): «كما على الناس أن يسلموا الأحكام المجمع عليها إلى من أجمع عليها من أهل العلم؛ فإن الله عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة وإنما يكون إجماعها بأن يسلِّم غير العالم للعالم؛ إذ غير العالم لا يكون له قول وإنما القول للعالم، فكما أن من لا يعرف أدلة الأحكام لا يُعتد بقوله فمن لا يعرف طرق العلم بصحة الحديث لا يُعتد بقوله، بل على كل من ليس بعالم أن يتبع إجماع أهل العلم».

قلت: والعبرة بأن فلانًا عالمٌ يُرجع إليه. يتحقّق بأمور ومنها: شهادة أهل العلم الراسخين له بذلك والإرشاد إلى الأخذ عنه والرجوع إليه.

روى أبو نعيم في «الحلية» (٣١٦/٦) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٣٢٥/٢) بإسناد جيد عن مالك بن أنس أنه قال: «ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك».

وقال الشاطبي –رحمه الله تعالى- في «الاعتصام» (٢٣٥/٢): «والعالم إذا لم يشهد له العلماء فهو في الحكم باقٍ على الأصل من عدم العلم حتى يشهد فيه غيره ويعلم هو من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم العلم أو على شك، فاختيار الإقدام في هاتين الحالتين على الإحجام لا يكون إلا باتباع الهوى».

ومنها: أن يكون للعالم لسان صدق عند جماهير المسلمين فالرجوع إليه آكد.

قال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (١١/٤٣) : «ومن له في الأمة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد في جماهير أجناس الأمة فهؤلاء هم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وغلطهم قليل بالنسبة إلى صوابهم، وعامته من موارد الاجتهاد التي يعذرون فيها وهم الذين يتبعون العلم والعدل فهم بُعداء عن الجهل والظلم وعن اتباع الظن وما تهوى الأنفس».

وقال العلامة ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (١/١٧٦): «من قواعد الشرع والحكمة أيضا أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الاسلام تأثير ظاهر فإنه يحتمل له مالا يحتمل لغيره ويعفي عنه ما لا يعفي عن غيره فإن المعصية خبث والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث بخلاف الماء القليل فإنه لا يحمل أدنى خبث»

فمقتضى الرجوع إلى أهل العلم، الرجوع إلى ما يحملونه من كتاب ربهم وسنة رسولهم ﷺ وما كان عليه السلف، وهذا الرجوع من أعظم تحكيم شريعة الإسلام، ولا يمكن أن يتحقق لأي مسلم الاحتكام إليها على الوجه الشرعي إلا بهذا الرجوع؛ لأنهم الجهة التي تُتلقى عنهم علوم الشريعة تعليمًا وتأليفًا وتحقيقًا ونشرًا ودفاعًا ونصحًا، ولا يحيد عن هذا الرجوع إلا أحد رجلين: إما أن يكون جاهلاً بهذا الواجب العظيم الذي أوجبه الله عليه فلجهله ترك الرجوع إليهم ولم يترك ذلك احتقارًا للعلماء ولا محاربة لهم، وإما أن يكون معاندًا ومعاديًا لهم وهذا يُبتلى به من تمكنت منه الشبه كالرافضة الذين لا يتلقون عن الصحابة ومن سار على نهجهم بدعوى أنهم غيّروا وبدّلوا، والذي غيَّر وبدّل هو الطاعن فيهم، فمن صار تعامله مع من أوجب الله الرجوع إليهم بمثل تعامل الرافضة فتعامله هذا مُؤْذِن بمحاربة الله له، قال الله في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب». رواه البخاري (رقم/٦٥٠٢) عن أبي هريرة، رضي الله عنه ولا جرم أن العلماء المتمسكين بالإسلام هم أحق من يدخل في ولاية الله، قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله تعالى- في تبيين كذب المفتري (ص/٢٩): «اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم

العلماء رحمة الله عليهم مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمرٌ عظيم والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم والاختلاف على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم» وقال ابن المبارك: «حق على العاقل أن لا يستخف بثلاثة: العلماء والسلاطين والإخوان، فإنه من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته». رواه السلمي في «آداب الصحبة» (رقم/٥٢) وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢٥١/١٧).

ألا وإن الطعن والقدح في علماء الشرع يتضمن الطعن في الدين، لأنهم شهود الشرع وحملته والداعون إليه فإذا جُرح الشاهد جرح المشهود له، والقاعدة عند أهل العلم: أن من أراد الطعن في الإسلام طعن في حملته والذابين عنه، ولهذا اشتهر عن غير واحد من أهل العلم اتهام الطاعن فيهم بالطعن في الإسلام ومن ذلك ما رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (رقم/٩٠٠): عن يحيى بن معين، قال: «إذا رأيت الرجل يتكلم في حماد بن سلمة، وعكرمة مولى ابن عباس فاتهمه على الإسلام». وروى الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤٠٠/١١) عن أسود بن سالم قال: «كان ابن المبارك إماما يقتدى به، كان من أثبت الناس في السنة إذا رأيت رجلا يغمز ابن المبارك بشئ فاتهمه على الإسلام». وعن أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: «من سمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهموه على الإسلام». رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩٠/٦) وقال نعيم بن حماد: «إذا رأيت العراقي يتكلم في أحمد بن حنبل فاتهمه في دينه، وإذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق بن راهويه فاتهمه في دينه، وإذا رأيت البصري يتكلم في وهب بن جرير فاتهمه في دينه». رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٦٢/٧).

وعلى هذا: فالطعن في علماء الملة يُعد خروجًا عليهم بالكلام وهذا هو الخروج الأول وهو أصل ومطية للخروج على المسلمين حاكمهم ومحكومهم بالسيف والسنان، فما خرج خارج على المسلمين إلا وقد وقع قبل ذلك في الخروج على العلماء المتبعين لما كان

عليه سيد المرسلين وصحابته الراشدين وأئمة الدين. فلا تكاد ترى من ابتدع في الدين بدعة خالف فيها ما عليه أهل الإسلام إلا كانت نهاية بدعته سلّ السيف على أمة الإسلام عاجلًا أم آجلًا وهذا هو المتقرر عند السلف ومن تبعهم قال الإمام عبد الله بن زيد الجرمي: «ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف». أخرجه الدارمي (٢٣١/١رقم/١٠٠) وسنده صحيح.

وقال الإمام مالك كما في «مفتاح دار السعادة» (١١٩/١): «إن أقوامًا ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم فخرجوا على أمة محمد ﷺ بأسيافهم ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن ذلك».

وهؤلاء الخارجون على حملة الشريعة يستخدمون ما فيه انتصار لبدعهم وأحزابهم، كما يستخدمون الألقاب المنفرة عن كل من خالفهم من أهل العلم وغيرهم.

وهل الفتن والصراعات الحاصلة اليوم بين المسلمين: حكومات وشعوبًا وطوائف وأحزابًا إلا لأسباب: منها: بُعْدهم عن شريعة الله تعالى، وعدم رجوعهم إلى العلماء الربانيين، فقد خالفوا بأقوالهم وأعمالهم علماء الأمة الأثبات وحملة شريعتها الثقات، فأدى ذلك إلى كل هذه المخالفات والتجاوزات التي كان قَتْل المسلمين بعضهم بعضًا من ثمارها وباسم الانتصار للشريعة، دون الرجوع إلى العلماء المعتبرين، كما هو حاصل في أبين ولودر وغيرها.

وكأنهم لم تقرع مسامعهم أدلة الزواجر العظام والوعيد الشديد ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣]. وقول رسول الله ﷺ: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم» رواه الترمذي (رقم/١٣٩٥) وغيره بإسناد صحيح، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: «من قتل مؤمنا فاغتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا». رواه أبو داود (رقم/٤٢٧٠) وسنده صحيح وعن ابن عباس عن النبى ﷺ- قال « يجىء المقتول بالقاتل يوم القيامة

ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دمًا يقول: يا رب هذا قتلني حتى يدنيه من العرش ».رواه الترمذي (رقم/٣٠٢٩) وهو صحيح. وعن نافع قال: «نظر عبد الله بن عمر ﵁ يوما إلى البيت أو إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك.» رواه الترمذي (رقم/٢٠٣٢) بإسناد صحيح.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في اقتضاء الصراط المستقيم (٢٥٣/١): «أعظم فساد الدنيا قتل النفوس بغير الحق، ولهذا كان أكبر الكبائر بعد أعظم فساد الدين الذي هو الكفر».

وقد أشبعنا هذا الموضوع في كتابنا «تمام المنة في فقه قتال الفتنة».

فالأبرياء في تلك المناطق يتعرضون للقتل والتشريد، وتُهْدَم منازلهم، وتضيع أموالهم، وتتردى أحوالهم بين أنصار الشريعة، ومكافحة الإرهاب الذي لا يميز بين صغير وكبير، رجل وامرأة، مقاتل ومسالم.

فالعلماء الربانيون هم الذين يقررون أمر المصالح والمفاسد، وينظرون إلى حال الأمة قوة وضعفًا.

فهلا رجع كل من أراد الحق والانتصار للشريعة إلى حملة الدين والشريعة؟ لا سيما في كبرى قضايا الأمة اليوم، لتحديد مصيرها، والنظر في مستجدات ما يحدث لها.

وقد التبس في الآونة الأخيرة على كثير من الناس الحق بالباطل، لقلة اطلاعهم على مناهج كثير من الطوائف والأحزاب والفرق، لضعف حصيلتهم العلمية من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

ولكي لا يختلط الحابل بالنابل، والحق بالباطل، قمنا بذكر ما عليه دعوة أهل السنة والجماعة في اليمن خاصة، ليحيا من حيَّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، ويكون في هذا بيان للحق في الدنيا، ومعذرة إلى ربنا يوم القيامة.

١ - دعوة أهل السنة والجماعة تدعو إلى إلتفاف عموم المسلمين حول علماء السنة، والأخذ عنهم، وسؤالهم في النوازل وكبرى المسائل، وتدعو إلى احترامهم وإجلالهم وعدم الإلتفات إلى كل من يحاول المساس بهم، أو الإساءة إليهم، فالذي يقول عن علماء اللجنة الدائمة ـ حرسها الله ـ: «إنهم فُسَّاق، وأنه لا يُرجع إليهم، بل يجب هجرهم، وموظفو دولة» ويقول: «إذا سقطت (أي: المملكة) فظفرت بأحد منهم، فابدأ بعلماء اللجنة الدائمة، فحد شفرتك، وأرح ذبيحتك، وأن العلماء أصنام جاثمة على صدور الأمة» ويلمز العلماء بأنهم لم يربوا رجالًا، ويقول: «أسأل الله أن يمكننا من رقاب العلماء» إلى آخر تلك الأقوال المنكرة القبيحة، التي لا تخدم المسلمين في شيء، فالذي يعتقد صحة هذه الأقوال ويروجها أنى له أن يكون من أهل السنة والجماعة؟! وقد تقدم ما للعلماء من مكانة وفضل، وكل هذه الألفاظ والطعون مدونة عندنا بمراجعها وأسماء قائليها، نسأل الله السلامة والعافية.

٢ - دعوة أهل السنة والجماعة دعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حدود الاستطاعة، وبالضوابط الشرعية، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم (رقم/٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٣ - دعوة أهل السنة والجماعة تدعو إلى تحكيم الشريعة الغرَّاء، دون لبس أو خفاء، بالطرق التي لا تخالف الشريعة، بل على منهاج النبوة في التغيير، لا بالنسف والتفجير، ولا بالثورات والانقلابات، والقاعدة عند أهل العلم: أن المنكر لا يزال بأنكر منه، كمن يريد أن يقيم الشريعة بما يباعد إقامتها.

٤ - دعوة أهل السنة والجماعة تدعو عموم المسلمين إلى جمع الكلمة ولمِّ الشمل على الحق، والإصلاح بين الناس، عملًا بقوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ

أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

٥ - دعوة أهل السنة والجماعة دعوة إلى الرحمة التي هي صفة بارزة من صفات المؤمنين، وعلامة يعرفون بها، قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح] فليس من الرحمة: الغلظة على المسلمين وقتل بعضهم بعضًا، فعن أبي هريرةﷺ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات -، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه» رواه مسلم (رقم/٢٥٦٤) وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» رواه البخاري (رقم/٤٨) ومسلم (رقم/ ٦٤) عن عبد الله بن مسعود ﷺ .

٦ - دعوة أهل السنة والجماعة دعوة إلى العلم النافع والعمل والصالح والدعوة إلى الله عز وجل: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف] على علمٍ وفهمٍ وإدراك، كما أنها دعوة تصفية وتربية، تصفية ما نسب إلى الإسلام، وما علق فيه من البدع والخرافات وغيرها. وتربية لشباب الأمة على الكتاب والسنة، وهذا هو مشروعها القائم والمشاهد الذي يجني المجتمع المسلم ثماره يانعة بحمد الله.

٧ - دعوة أهل السنة والجماعة دعوة إلى نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف بالطرق الشرعية حسب الاستطاعة والقدرة قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وعملًا بحديث رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». رواه البخاري (رقم/٢٤٤٣) عن أنس ﷺ

٨ – دعوة أهل السنة والجماعة دعوة إلى الإحسان، ففي "صحيح مسلم" (رقم/١٩٥٥) عن شداد بن أوس ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» فترويع الآمنين وإلحاق الضرر بهم ليس من الإحسان في شيء.

٩ – دعوة أهل السنة والجماعة تدعو إلى الصبر على المسلمين في حدود الشريعة قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٠] فمن تعجل فأساء المعاملة مع المسلمين بسبب بعض أخطائهم فقد ترك ما أمر الله به بقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣]

١٠– دعوة أهل السنة والجماعة لا ترضى بأي تدخل خارجي يؤدي إلى إثارة الفتن أكثر بين أبناء البلد الواحد ويزعزع أمن البلاد ويسلط المسلمين بعضهم على بعض قتلًا وتشريدًا وإتلافًا للممتلكات كما أن التدخل الخارجي بحجة مكافحة الإرهاب لا يزيد الأمر إلا تعقيدًا والشر تأججًا فيتضرر من جراء ذلك المسلمون عمومًا وخصوصًا، كما لا يخفى على العقلاء، فالعدو بين أمرين: إما أن يستمر في حرب أبناء الشعب، وهذا لا يزيد الأمور إلا سوءًا. وإما أن يكف عن ذلك، ولن يكف إلا بعد أن يُوْجِد من يقوم بهذا الأمر من أبناء الشعب، فيستمر القتل والقتال إلى أمدٍ لا يعلمه إلا الله.

١١ – دعوة أهل السنة والجماعة لا تدعو إلى قتال الفتنة، بل من الأصول عند أهل السنة والجماعة عدم المشاركة في قتال الفتنة لما ينجم عنها من أضرارٍ كبيرة وفتنٍ مستمرة حتى جعلوا تركه من أصولهم والواقع فيه مخالف لأصل من أصولهم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الاستقامة (٣٢/١) : «ولهذا نهى النبي ﷺ عن القتال في الفتنة، وكان ذلك من أصول السنة، وهذا مذهب أهل السنة والحديث وفقهائهم وغيرهم

وقتال الفتنة على أقسام:

الأول: ما اشتبه فيه الحق بالباطل.

الثاني: ما كان من أجل الدنيا ـ الملك ـ المال.

الثالث: ما كان قائمًا على البدعة.

وقد أجمع العلماء على تحريم القتل بغير حق، فيجب أن لا يصدر الحكم بالقتل على أي فردٍ من الناس سواء كان مسلمًا أو كافرًا إلا بدليلٍ صحيح، وأن يصدر هذا الحكم من العلماء المجتهدين الراسخين في العلم، فلا يجوز أن تؤخذ الفتوى في مسائل القتل من الذين لم يبلغوا رتبة الاجتهاد التي اشترطها أهل العلم في ذلك.

وكم من فتنة وقعت في المجتمع المسلم بسبب بعض الغيورين الذين لا يتقيدون بضوابط الشريعة ولا يرجعون إلى أهل العلم.

فقد يقاتل هذا الغيور تعصبًا لطائفته أو حزبه، والنبي ﷺ يقول: «من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل، فقتلة جاهلية» رواه مسلم (رقم/١٨٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد يقاتل وهو يبتغي وجه الله، ولكنه لم يوافق ما أمر الله، عن حذيفة ﷺ أنه قال لأبي موسى: أرأيت لو أن رجلًا خرج بسيفه يبتغي وجه الله فضرب؟ فقلت: كان يدخل الجنة. فقال له أبو موسى: نعم. فقال حذيفة: لا، ولكن إذا خرج بسيفه يبتغي به وجه الله ثم أصاب أمر الله فقُتل دخل الجنة. أخرجه سعيد بن منصور (رقم/٢٥٤٦) بسند صحيح.

فندعو الدولة وقادة الأحزاب ومشائخ القبائل وأعيانها إلى السعي الحثيث في النظر إلى ما يصلح البلاد والعباد ولن يكون ذلك إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والوقوف صفًا واحدًا ضد ما يؤجج الشر أكثر، ويسلط المسلمين بعضهم على بعض وأن التدخل الأجنبي لا فائدة فيه، إنما هو كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماء

وندعو العلماء في هذه البلاد إلى أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من الدعوة إلى المحافظة على أمن البلاد واستقرارها وعلى الأخوة الدينية وعلى حقن الدماء وحفظ

الأعراض وصيانة الأموال، فالواجب عليهم عظيم والمسئولية عليهم كبيرة فالله الله في القيام بذلك.

وعلى هذا: فنحن ندعو الناس وطلبة العلم إلى أن ينأوا بأنفسهم عن مواطن الفتن والشبهات، ومن خالف كتاب الله تعالى وهدي محمد ﷺ وعلماء الأمة فلينتظر عواقب ذلك في دنياه وأخراه، فلن نغامر بأرواح الناس، ولن نزج بهم في دهاليز الفتن.

وندعو من شذَّ من طلبة العلم، فالتحق بأنصار الشريعة أن يراجعوا أنفسهم لعلهم يرشدون إلى التوبة إلى الله مما وقعوا فيه من الشذوذ والانحراف، وهم في سيرهم هذا لا يُمَثِّلون إلا أنفسهم، فنبرأ إلى الله من شذوذهم هذا حتى يرجعوا إلى جادة الصواب.

وننصح أهل السنة وطلبة العلم أن يواصلوا سيرهم المعهود في تعلم العلم ونشر الدعوة إلى الله عز وجل واعتزال الفتن، وأن يحافظوا على هذا الخير الذي بين أيديهم والذي منَّ الله عليهم به، والصبر الصبر فإن الولوج في هذه الفتن قد لا يحد بحد ولا يصل إلى منتهى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن من اعتاد الانتقام ولم يصبر لابد أن يقع في الظلم، فإن النفس لا تقتصر على قدر العدل الواجب لها لا علمًا ولا إرادة وربما عجزت عن الانتصار على قد الحق، فإن الغضب يخرج بصاحبه إلى حد لا يعقل ما يقول وما يفهم، فبين هو مظلوم ينتظر النصر والعز إذ انقلب ظالمًا ينتظر المقت والعقوبة». قاعدة في الصبر (ص/٥٠).

كما أننا نعلم يقينًا أن ما يجري اليوم هو محاولة تلو أخرى لإقحام أهل السنة وغيرهم فيما لا تحمد عقباه، ولا يرضونه ولا يرتضونه لغيرهم، وإنه لمكر الليل والنهار بدعوة ملأت السهل والجبل وتجاوزت الأمصار وازدهرت بها الأقطار فكيف يتم صرف مسارها إلا بإدخالها في متاهات شاهدنا مثيلاتها في كثيرٍ من البلدان التي لا زالت وإلى اليوم تئن تحت وطأة الأحداث والنكبات.

هذه هي دعوتنا حتى لا يتقول علينا متقول، أو يوؤل صمتنا موؤل، أو يتملق لنا متملق، أو يلفق علينا ملفق، وإنه لبيان للناس وبراءة للذمة.

سدد الله الخطى، ومنح الجميع البر والتقوى وحسن العاقبة في الآخرة والأولى.

وكتب أبو نصر/ محمد بن عبد الله الإمام

دار الحديث بمعبر – حرسها الله-

بتاريخ/١٥/٧/١٤٣٣

الموافق/٥/٦/٢٠١٢